خطبة الإمام علي (عليه السلام) عندما أنكر عليه قوم تسويته بين الناس في الفيء

قال (عليه السلام) : (أمّا بعد ، أيّها الناس : فإنا نحمد ربّنا وإلهنا ، وولي النعمة علينا ، ظاهرة وباطنة بغير حول منا ولا قوّة ، إلاّ امتناناً علينا وفضلاً ، ليبلونا أنشكر أم نكفر ، فمن شكر زاده ، ومن كفر عذّبه .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، أحداً صمداً ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، بعثه رحمة للعباد والبلاد ، والبهائم والأنعام ، نعمة أنعم بها ، ومنّاً وفضلاً (صلى الله عليه وآله) .

فافضل الناس – أيّها الناس – عند الله منزلة ، وأعظمهم عند الله خطراً ، أطوعهم لأمر الله ، وأعملهم بطاعة الله ، وأتبعهم لسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأحياهم لكتاب الله ، فليس لأحد من خلق الله عندنا فضل ، إلاّ بطاعة الله وطاعة رسوله ، واتباع كتابه وسنّة نبيه (صلى الله عليه وآله) .

هذا كتاب الله بين أظهرنا ، وعهد نبي الله وسيرته فينا ، لا يجهلها إلاّ جاهل مخالف معاند عن الله عز وجل ، يقول الله : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ، فمن اتقى الله فهو الشريف المكرم المحب ، وكذلك أهل طاعته وطاعة رسول الله .

يقول الله في كتابه : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ، وقال : (قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) .

ثمّ صاح بأعلى صوته : (يا معاشر المهاجرين والأنصار ، ويا معاشر المسلمين : أتمنّون على الله وعلى رسوله بإسلامكم ، ولله ولرسوله المن عليكم إن كنتم صادقين .

ألا إنّه من استقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، وشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، أجرينا عليه أحكام القرآن ، وأقسام الإسلام ، ليس لأحد على أحد فضل إلاّ

بتقوى الله وطاعته ، جعلنا الله وإيّاكم من المتقين ، وأوليائه وأحبائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

ألا إنّ هذه الدنيا التي أصبحتم تتمنونها وترغبون فيها ، وأصبحت تعظكم وترميكم ليست بداركم ، ولا منزلكم الذي خلقتم له ، ولا الذي دعيتم إليه .

ألا وإنّها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها ، فلا يغرّنكم عاجلها فقد حذرتموها ، ووصفت لكم وجربتموها ، فأصبحتم لا تحمدون عاقبتها .

فسابقوا رحمكم الله إلى منازلكم التي أمرتم أن تعمّروها ، فهي العامرة التي لا تخرب أبداً ، والباقية التي لا تنفد ، رغبكم الله فيها ودعاكم إليها ، وجعل لكم الثواب فيها .

فانظروا يا معاشر المهاجرين والأنصار ، وأهل دين الله ما وصفتم به في كتاب الله ، ونزلتم به عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وجاهدتم عليه فيما فضلتم به بالحسب والنسب ؟! أم بعمل وطاعة ؟

فاستتموا نعمه عليكم – رحمكم الله – بالصبر لأنفسكم ، والمحافظة على من استحفظكم الله من كتابه ، ألا وإنّه لا يضرّكم تواضع شئ من دنياكم ، بعد حفظكم وصية الله والتقوى ، ولا ينفعكم شئ حافظتم عليه من أمر دنياكم ، بعد تضييع ما أمرتم به من التقوى ، فعليكم عباد الله بالتسليم لأمره ، والرضا بقضائه ، والصبر على بلائه .

فأمّا هذا الفيء فليس لأحد فيه على أحد أثرة ، قد فرغ الله عز وجل من قسمه ، فهو مال الله ، وأنتم عباد الله المسلمون ، وهذا كتاب الله به أقررنا وعليه شهدنا وله أسلمنا ، وعهد نبينا بين أظهرنا فسلّموا – رحمكم الله – فمن لم يرض بهذا فليتول كيف شاء .

فإنّ العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لا وحشة عليه ، أولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك هم المفلحون) ، ونسأل الله ربّنا وإلهنا أن يجعلنا وإيّاكم من أهل طاعته ، وأن يجعل رغبتنا ورغبتكم فيما عنده ، أقول ما سمعتم ، واستغفر الله لي ولكم) .